المنهج النفسي ودلالاته
في شعر جعيفران الموسوس (ت٢٤٨هـ)

م. د. حسام الدين فلاح محمود كاظم

دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

Dhsamaldlymy@gmail.com

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على المنهج النفسي في العمل الأدبي، وكذلك السبب الذي دفع إلى جنون جعيفران الموسوس؛ فتجده مرة يجن ومرة أخرى يفوق، وقد أطلق على هؤلاء بعقلاء المجانين، وهذا البحث جاء لبيان هذه الشخصية عن طريق المنهج النفسي، وتسليط الرؤية على الشاعر، وتحليل حالته في الوعي واللاوعي وهي الأهداف الرئيسة التي قامت عليها الدراسة.

الكلمات المفتاحية : ((المنهج النفسي، جعيفران الموسوس، الوعي واللاوعي)).

Abstract

This study seeks to identify the psychological approach in literary work, as well as the reason that drove Jaifran's obsessive madness. Sometimes you find him going crazy and sometimes exceeding, and he called these people crazy, and this research came to explain this personality through the psychological approach, shedding vision on the poet, and analyzing his state of consciousness and subconsciousness, which are the main goals on which the study was based.

Keywords: The psychological approach, Jaifran the possessive, consciousness and the subconscious.

المقدمة

اشتهر في الأدب العربي من الشعراء والأدباء الذين يعرفهم قرّاء الأدب ورواته، الذين لاتصل أسماؤهم ، فإن الناس يتناقلون من شعرهم، ولا يروونه مصحفًا ، وإنما يعرفون الشاعر بالشخصية التي تنمار بالأخبار، ومنهم جعيفران الموسوس.

يعد جعيفران من العقلاء المجانين الذين عددهم أوفر، وجنونهم أكثر، ونواحيهم أعقد، وتصرفاتهم أسمج، ويبدو أن طليعة هؤلاء لها أسباب لجنونهم؛ فبربما البعض منهم كانوا يعيشون عيشًا رغيدًا حتى وصلوا إلى حد الفقر والحرمان.

يبدو أن هذا الصنف حبيب إلى الناس؛ ولهذا تجدهم يحبون أن يسمعوا حديثهم ويتحروا أخباره، ولعل السر في ذلك أنه صنف فيه طرافة؛ لجمعه بين المتناقضات من عقل وجنون، وسفه وحكمة، وطيش ورزانة، ونقص وقوة؛ ولأنه مثار الشفقة والرحمة مع الإعجاب والاستحسان؛ فجنونهم يستدعي رحمتهم، وحكمتهم أو نوادرهم تستدعي الإعجاب بهم؛ وإذا اجتمع في النفس بواعث الشفقة والإعجاب ومظاهر التناقض فهناك الطرافة والجدة واللذة.

لقد اقتضى أن تكون لهذه الدراسة تمهيد ومبحثين، وكان التمهيد بعنوان: ((المنهج النفسي، والجنون))؛ ذكرت فيه علاقة المنهج النفسي بالعمل الأدبي، وكذلك مفهوم الجنون والألفاظ ذات العلاقة، وكان المبحث الأول بعنوان: ((جعيفران الموسوس حياته وفقره))، والمبحث الثاني: ((جعيفران الموسوس الوعي واللاوعي))، أذكر فيه وضعه النفسي في الحالتي الجنون والوعي.

التمهيد

المنهج النفسي، والجنون

أما المنهج النفسي بدلالة العمل الأدبي فإنه يقوم بتسليط الضوء على نفسية المبدع، وإجابة حاسمته؛ فيظهر الكثير من التكلف والتعسف في تأويلاته وتعليلاته؛ لأن هذا المنهج يمكن عبره استطاعة الناقد الوصول إلى نتائج قد تكون دقيقة تخرج المكنونات الداخلية للمبدع، وإن وظيفة النقد الأدبي وغايته تقويم العمل الأدبي وصاحبه من الناحية الفنية والجمالية، أما علم النفس فغايته تفسير الممارسات اللاواعية، وكشف بواعثها الخفية، دون الالتفات إلى الجانب الفني والجمالي.

إن اعتماد التحليل النفسي في النقد الأدبي، مع تبني هدفه في كشف منبع الخلق الفني واستقصاء ديناميات قد يؤدي إلى مجرد القيام بمجموعة من التطبيقات المستندة إلى النظريات النفسية، والتي تستوي فيها دلالات النصوص الجيدة والنصوص الرديئة، ولابد من الإشارة إلى أن فهم النص الأدبي ينبغي النظر إليه على أنه إبداع وقطعة فنية، وليس مجرد انعكاس لعقد نفسية مرضية، ففهم النص الأدبي يجب أن يتم على أنه أثر من آثار الأدب، وليس مجموعة من الأعراض المرضية، حتى وإن كانت هذه الأعراض تشكل الأعصاب أو النرجسية[1].

إن النقد النفسي للأدب عامة كان نفسياً منذ بدايته بمعنى أن كل ناقد قد حاول بوضوح أن يستغل في نقده ما يعرفه، أو يؤمن به من عمليات الفكر الإنساني؛ فلما تعرف فرويد قبل أن ينتهي القرن التاسع عشر بقليل إلى اللاوعي، أحرز علم النفس اتجاهاً يستطيع منه أن يفهم ويستبصر الأمور على نحو لم يكن متيسراً في أصول الأعمال الأدبية ومبانيها.

ويبدو أن القليل من الذين يستحقون الذكر من النقاد النفسيين قبل فرويد، وكان أرسطوطاليس هو المصدر الأول لعلم النفس والنقد النفسي للأدب؛ إذ تتخل سيكولوجيته التجريبية كل مؤلفاته كما أنها المحور الذي يدور عليه «كتاب النفس «وكتاب» الطبيعيات الصغرى ورسائله القصيرة الطبيعية عن الذاكرة والتذكر وعن الرؤية والتنبؤ عن طريق الرؤيا، وقد طبق سيكولوجيته على الشعر في «البويطيقا»، رداً على الأغلوطة الشعرية التي وقع فيها أفلاطون في «الجمهورية» إذ قال إن الشعر «يغذي» العواطف وإنه

(١) ينظر: سيلين سوربينانت، «فرويد والتحليل النفسي» في باتريشيا وو إد.، النظرية الأدبية والنقد (OUP 2006) ص. ٢٠٠.

لذلك ضار اجتماعياً، فعارضه أرسطوطاليس بنظريته السيكولوجية الرصينة في التطهير «، أي أن الشعر يستثير عاطفتي الشفقة والخوف على نحو رمزي، يمكن ضبطه، ثم يظهرهما [١].

ولا بد من الإشارة إلى الجنون ألفاظ ودلالات فهو اللغة يعني الاستتار؛ فتجد العرب تقول: ((جن الشيء يجن جنوناً إذا استتر وأجنه غيره إجناناً إذا ستره الْجُنُونُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُغَطِّي الْعَقْل، وَجَنَانُ اللَّيْلِ سَوَادُهُ وَسَتْرُهُ الْأَشْيَاءَ[٢]، وفيه قال دريد بن الصمة:

وَلَــوْلَا جَــنَــانُ الــلَّــيْــلِ أَدْرَكَ رَكْــضُــنَــا بِــذِي الرِّمْــثِ وَالْأَرْطَــى عِيَاضَ بْنَ نَاشِبِ[٣]

وللمجنون في اللغة أسماء ومعان كثيرة منها : ((السّعر،المدروس، الْمُنْتَخب،المذبوب، المغنون، الملموم، المأفون، المخفوع، المخفوق، المدعوج، العديم، الأثول، الأحمق، والمألوق، والأخبل، والْمفْتُون، والْمَجْنُون، والمهروع، والْمَشْفُوع، والهجرع، والخبل، والموته، والْجنَّة، والمجنة، والجنن، والْفِتْنَة، الْمس، والألس، الألاس، الطيف، العلور، الْعرض، الأولق، العتعتة، الشُّفْعَة)) [٤] ومن هذه المعاني تجد جعيفران الموسوس يقول:

رَأَيْــتُ الــنَّــاسَ يَدْعُونــي بــمــجــنــون عَــلَــى عَــمْــد
ومــا بــي، الــيَــوْمَ مِــنْ حُــمْــقٍ وَلا لَــبْــسٍ، وَلا عَــقْــدِ
وَلَــكِــنْ قَــوْلُــهُــمْ ذَاكَ لإدقــاعــي مِــنَ الــوَجْــدِ
وَلَــوْ كُــنْــتُ كَــقَــارُونِ ووالــي رُحْــبَــةِ الــجــنــدِ
رأونــي راجــح العقل جــمــيــلاً حَــسَــنَ الــقَــدِ
وَمَــا ذَاكَ عَــلَــى حَــقٌ ولــكــن هَــيْــبَــةُ الــنَّــقْــد[٥]

وفي هذه الأبيات تجد من الألفاظ التي أشرت إليها منها قول الشاعر بـ(مجنون)، و(حمق)، و(لبس)، وبالتالي ذكرتها لوجود الشاهد الشعري لها، ويبدو أن جعيفران هو الممرور وهو الّذي أحرقته

(١) ينظر: النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي ادغار هايمن (Stanley Edgar Hyman) (ت: ١٣٩٠هـ) ترجمة: إحسان عباس،ط١، دار الثقافة - بيروت - لبنان، ج١، ١٩٥٨ م، ص ٢٥٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩، ج١، ص٤٢٢.

(٣) الأصمعيات اختيار الأصمعي، الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (المتوفى: ٢١٦هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط٧، ١٩٩٣م، ص١١٢.

(٤) اللطائف في اللغة ـ معجم أسماء الأشياء ـ، أحمد بن مصطفى اللَّبَابِيدي الدمشقي (المتوفى: ١٣١٨هـ)، دار الفضيلة، القاهرة، ص١٢٧.

(٥) شعر جعيفران الموسوس (ت-٢٤٨هـ)، أبو الفضل جعفر بن علي بن أصفر بن السري بن عبد الرحمن الشهير بـ(جُعَيفُران المُوسوَس)، تحقيق: شاكر العاشور، ط٢، دار تموز، دمشق، ٢٠١٢،ص٤٣.

المرَّة السوداء[١].

غير أنَّ الطّبيب الرَّازي كان له رأي آخر إذ فرّق بين بعض الآفات العقليّة وبين الجنون، وأنَّ ليس كلّ ما يصيب الإنسان في عقله هو جنون -كما يدَّعي العامّة- فيقول: ((العامّةُ تسمّي مجنونًا أصحاب الصّرع، والماليخوليا، والاختلاط، وبين هذه الثّلاثة فرق كبير، وذلك أنَّ أصحاب الصّرع أصحّاء في كلّ حال إلّا في ذلك الوقت، والماليخوليا ليس معه سهر ولا توثّب على النّاس، ولا يَخلِط كثيرًا في كلامه، بل ربّما لم يكن مخالفًا للأصحّاء إلّا في أشياءٍ قليلةٍ بأفكارٍ ردية، وإذا طال به خَلط تخليطًا كثيرًا، إلّا أنَّه في ذلك كلّه ينحو نحو العاقل، ويلزمه الخوف، والفزع، والغمّ، وأمّا الجنون فمعه توثّب، وحركات سريعة قويّة، وسهر واختلاط دائم))[٢]؛ أيْ ان الجنون كلّ اختلاط يكون مع جرأة، وإقدام وخبث نَفس.

(١) عقلاء المجانين، أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (المتوفى: ٤٠٦هـ)، تحقيق: خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص٨٤.

(٢) الحاوي في الطب ، أبو بَكْر الرَّازِي (٢٥١ـ ٣١٣ هـ)، محمد بن زكريا الرَّازي، أبو بكر: فيلسوف، من الأئمة في صناعة الطب. من أهل الري،ولد وتعلم بها. وسافر إلى بغداد بعد سنّ الثلاثين. يسميه كتّاب اللاتينية (رازيس)، تحقيق: عبد اللطيف العبد، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية؛ ١٩٧٨ م ، ص١٠١.

المبحث الأول

جعيفران الموسوس حياته وفقره

١. اسمه ونسبه:

أبو الفضل جعفر بن علي بن أصفر بن السري بن عبد الرحمن الشهير بـ(جُعَيفُران المُوسوَس) ، ولد في بغداد ، وهو شاعر عربي في العصر العباسي الأول من أهل الأواخر القرن الثاني الهجري، وقيل أنه عاش في سامرّاء[١]، وكان أبوه من الجنود الخراسانية فضلا عن تشيعه؛ إذ يكثر لقاء علي الرضا بن موسى الكاظم[٢]، وموسى الكاظم[٣] هو الذي أفتى بطرد ـجعيفرانـ ابنه من بيته وحرمانه من ميراثه بعد موته؛ وذلك لاختلاف جعيفران مع أحدى جواي والده، وكان يتشيع لأهل البيت عليهم السلام [٤]، صنفه ابن حبيب النيسابوري من كتاب عرب في القرن الثالث في شخصيات كتابه عقلاء [٥].

(١) ينظر: الأمثال المولدة، محمد بن العباس الخوارزمي، أبو بكر (المتوفى: ٣٨٣هـ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي،١٤٢٤ هـ، ص٤١٩.

(٢) عليّ الرِّضى(١٥٣ - ٢٠٣ هـ = ٧٧٠ - ٨١٨ م)، علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن، الملقب بالرضى: ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم، ولد في المدينة، وكان أسود اللون، أمه حبشية، وأحبه المأمون العباسي، فعهد إليه بالخلافة من بعده، وزوّجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغير من أجله الزيّ العباسي الّذي هو السواد فجعله أخضرا، وكان هذا شعار أهل البيت، فاضطرب العراق، وثار أهل بغداد، فخلعوا المأمون، وهو في «طوس «وبايعوا لعمه إبراهيم ابن المَهْدِي، فقصدهم المأمون بجيشه، فاختبأ إبراهيم ثم استسلم وعفا عنه المأمون، ومات علي الرضي في حياة المأمون بطوس، فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد، ولم تتم له الخلافة، وعاد المأمون إلى السواد، فاستألف القلوب ورضي عنه الناس، ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م،ج٥، ص ٢٦.

(٣) مُوسى الكاظِم(١٢٨ - ١٨٣ هـ = ٧٤٥ - ٧٩٩ م)، موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أبو الحسن: سابع الأئمة الاثني عشر، عند الإمامية، كان من سادات بني هاشم، ومن أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد، ولد في الأبواء (قرب المدينة) وسكن المدينة، فأقدمه المهدي العباسي إلى بغداد، ثم رده إلى المدينة، وبلغ الرشيد أن الناس يبايعون للكاظم فيها، فلما حج مر بها (سنة ١٧٩ هـ) فاحتمله معه إلى البصرة وحبسه عند واليها عيسى ابن جعفر، سنة واحدة، ثم نقله إلى بغداد فتوفي فيها سجينا، وقيل: قتل، ينظر: الأعلام،ج٧، ص ٣٢١.

(٤) ينظر: الأمثال المولدة، محمد بن العباس الخوارزمي، ص٤١٩.

(٥) عقلاء المجانين، أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (المتوفى: ٤٠٦هـ)، تحقيق: خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص٨٤.

٢. خلافه مع والده وحرمانه من الميراث:

ذكر أبي الفرج الأصفهاني في كتابه كتاب الأغاني قصة خلاف جعيفران الموسوس مع والده مفصلا؛ فلما كبر ابنه جعفر، منعه من دخول بيته والاختلاط بنسائه من الجواري ؛ إذ ازداد تملكهن في العصر العباسي، ويبدو أن إحداهن قد ادعت عليه عند أبيه بما يشين، وكان علي بن أصفر مصابا بالوسواس؛ فصدق الوشاية حينا وارتاب فيها أحيانا، وحتى يصل إلى نتيجة يستريح فيها من الوسواس؛ فإنه قصد الحجاز حاجاً وفي المدينة المنورة استشار من العلماء لأمره، وقد شكا إلى الإمام موسى الكاظم-عليه السلام- ذلك؛ فما كان منه إلا أن أكد للأب وساوسه وشكوكه في ابنه جعيفران، وقال له ((إن كنت صادقاً عليه؛ فليس يموت حتى يفقد عقله، وإن كنت قد تحققت ذلك عليه؛ فلا تساكنه في منزلك، ولا تطعمه شيئاً من مالك في حياتك، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك))، وعلى هذا الأساس قد اتهم جعيفران في شرفه، وطرد من البيت.

ويبدو أن الأب لم يكتف حتى عرض الأمر على فقيه آخر يستفتيه في حيلة يستطيع بها إخراجه من الميراث بعد الموت، فأفتي له بأن يوصي بكل أمواله إلى رجل ويشترط عليه أن يحرم ابنه جعيفران من أي شيء.

ومات الأب وآلت الثروة حسب وصيته إلى ذلك الرجل، الوصي، وجاء إليه جعيفران ليأخذ حقه من الميراث فمنعه الوصي، فذهب جعيفران إلى القاضي الشهير أبي يوسف القاضي[1] وشكا له، فأمر أبو يوسف بإحضار ذلك الوصي، وفي مجلس الحكم سأل أبو يوسف جعيفران أن يأتي ببينة علي نسبه وتركة أبيه، فقدم جعيفران الشهود الذين شهدوا علي صحة نسبه وعلي ما تركه والده من أموال، وطلب أبو يوسف من الوصي بينة على أن والد جعيفران قد أوصي له بتركته فأحضر الوصي شهودا شهدوا علي أن والد جعيفران احتال بالوصية علي منع ابنه من الميراث، ولكن أبا يوسف لم يأخذ ببينة الوصي وأوشك على أن يحكم لجعيفران بحقه في ميراثه من أبيه إلا أن الوصي أراد أن يخلو بالقاضي أبي يوسف ليقول له السر، ولكن القاضي رفض إلا أن يحضر جعيفران، فطلب الوصي من القاضي مهلة إلى الغد؛ ليقدم مستنداً جديداً فأمهله أبو يوسف للغد، وسعي الوصي إلى أحد أصدقاء أبي يوسف وأعطاه رقعة أوصلها إلى أبي يوسف وفيها اتهام لجعيفران بتلك التهمة الفظيعة، وهي السبب في قرار أبيه بحرمانه

(١) القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة الأنصاري - وسعد بن حبتة أحد الصحابة رضي الله عنهم، وهو مشهور في الأنصار بأمه، وهي حبتة بنت مالك من بني عمرو بن عوف، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٦، ص٣٧٨.

من الميراث، ولم يقبل أبو يوسف ذلك الاتهام فاستدعي الوصي وطلب منه اليمين فأقسم الوصي يمينا يؤكد فيها اتهام جعيفران، فاقتنع أبو يوسف، وفي اليوم التالي كان موعد الحكم فحكم أبو يوسف بحرمان جعيفران من ميراثه من أبيه.

٣. شهرته ووفاته:

اشتهرت قصة جعيفران في بغداد، وقد فقد ثروته وسمعته وعقله؛ إذ كان يغيب عقله أحيانا ويختلط؛ فحمل من يومها لقب الموسوس ، وفي هذا قال: (الهزج)

رَأَيْتُ النَّاسَ يَرْمُونِي ... بِوَسْوَاسٍ لأيامِي
وَمَا كُنْتُ أَخَا مُوقٍ ... قَدِيماً قَبْلَ تهيامِي
ولكني أرى ذاك ... لإدقاعِي وإعدامِي
وَلَوْ كُنْتُ أَخَا مُلْكٍ ... وإسراجٍ وَإلْجامِ
إِذَنْ أَكْرَمَنِي النَّاسُ ... وَلَمْ أَرْمَ بِالْمَامِ
وكانوا كُلَّ أوقاتٍ ... يُبَاهُونَ بإكرامِي[1]

تظهر في هذه الأبيات الحالة النفسية التي تظهر الحزن والأسى؛ فالناس يؤذونه بكلمات الوسواس والجنون وكأنهم بذلك يريدون قتله بحسب وصفه، وبلفظ الجنون الذي أطلق عليه فقال:)الرجز(

اسْتَوجَبَ العَالَمُ مِنّي القتلا
لَمَّا شَعَرْتُ فَرَأَوْنَي فَحْلا
قالوا عَلَيَّ كَذِباً وَبُطْلا
إِنِّي مَجْنُونٌ فَقَدْتُ العَقْلا
قالوا المحالَ كذِباً وَجَهْلا
أقبحْ بهذا الفِعْلِ مِنْهُمْ فِعلا
لستُ براضٍ مِنْ جَهُولٍ جَهْلا

وَلا مُجازيه يفعل فعلا[2] تجد الشاعر في هذه الأبيات يصرح بأن الناس قد أطلقوا عليه الجنون صراحة فضلا عن دفاع الشاعر عن نفسه، وانه لم يستعمل الضغينة على الرغم من تسببهم له الألم، ويبدو منه أيضا أنه قال هذا عندما أفاق من الجنونه المتكرر.

(١) شعر جعيفران الموسوس (ت-٢٤٨هـ)، أبو الفضل جعفر بن علي بن أصفر بن السري بن عبد الرحمن الشهير بـ(جُعَيفُران المُوسوَس)، تحقيق: شاكر العاشور، ط٢، دار تموز، دمشق، ٢٠١٢ ،ص٨٣.
(٢) المصدر نفسه،ص٤٣.

وتجده إذا ما أفاق من سكرات المرة السوداء ـالجنونـ يقول الشعر الجيد، وتوفي جعفيران سنة (٢٣٠هـ).

٤. فقره وحالته النفسية:

وبعد فقد جعيفران الثروة والحياة المرفهة ظهر عليه الفقر فتجده هنا وهناك يبحث عن لقمة تسنده وتسد رمقه وبالتالي تظهر الشخصية ثوابت للمتلقي وعلى رأسها الحاجة وهي البواعث التي لها في المنظور النفسي تسميات متعددة منها: الدافع، والحاجة، والحافز، والغريزة، ويمكن تسميتها بعمليات داخلية تفسر السلوك البشري، ولا يمكن ملاحظتها بصورة مباشرة، بل تستنتج من الاتجاه العام للسلوك الصادر عنها وتحليله[١]، وللبواعث النفسية تداعيات حتى قيل: ((من أراد المديح فبالرغبة، ومن أراد الهجاء فبالبغضاء، ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق، ومن أراد المعاتبة فبالاستبطاء))[٢]، وهذا يعني أن هناك صلة واضحة بين الانفعال النفسي والإبداع وأساسها الرغبة القائمة على البغض أو الشوق أو الحنين وغيرها، ومن هذه المعاني قيل أن جعيفران قد أتى أبا دلف[٣] يستأذن عليه، وعنده أَحْمَد بْن يوسف، فقال الحاجب: جعيفران الموسوس بالباب، فقال أَبُو دلف: ((مالنا وللمجانين، فقال له أَحْمَد بْن يوسف: أدخله فلما دخل، قَالَ:

يـا أَكْـرَمَ الأُمَّـةِ مَوْجـودا ... وَافْـجَـعَ الأُمَّـةِ مَفْقُـودا
لَـمَّـا سَـأَلْـتُ الـنَّـاسَ عَـنْ وَاحِـدٍ ... أَصْـبَـحَ فِـي الـعَـالَـمِ مَـحْـمُـودا
قـالـوا، جَـمـيـعـاً: إِنَّـهُ قـاسِمٌ ... أَشْـبَـهَ آبـاء لـه صـيـدا[٤]

فقَالَ: أحسنت وَاللَّه، يا غلام اكسه، وادفع إليه مائة درهم، فقال: مره أعزك اللَّه أن يدفع منها إلي خمسة، ويحفظ الباقي لي، قَالَ: ولم؟ قَالَ: لئلا تسرق مني ويشتغل قلبي بحفظها، قَالَ: يا غلام ادفع إليه كلما جاءك خمسة دراهم إلى أن يفرق بيننا الموت، قَالَ: فبكى جعيفران، فقال له أَحْمَد بْن يوسف:

(١) ينظر: مدخل في علم النفس، لندا دافيدوف، ترجمة: السيد الطواب، ومحود عمر، ونجيب خزام، مراجعة فؤاد أبو حطب، مكتبة التحرير، ط٣، ١٩٨٣م، ص٤٣١.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١ م، ج١، ص١٢٢

(٣) أَبُو دُلَف العِجْلي (ت ٢٢٦هـ)، القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل، من بني عجل بن لجيم: أمير الكرخ، وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء. قلده الرشيد العباسي أعمال «الجبل «ثم كان من قادة جيش المأمون، وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة، وللشعراء فيه أماديح، وله مؤلفات، منها «سياسة الملوك» و «البزاة والصيد»، وهو من العلماء بصناعة الغناء، يقول الشعر ويلحّنه. توفي ببغداد، ينظر: الأعلام، ج٥، ص ١٧٩.

(٤) شعر جعيفران الموسوس، ص٢٨.

ما يبكيك؟ فقال:

يـمـوتُ هَـــذَا الـــذِي تَـــرَاه وكُـــلّ شَـــيْءٍ لَـــهُ نَـفَـادُ
لَـــوْ كَـــانَ شَـــيْءٌ لَـــهُ خُـــلُـــوْدٌ خُـــلِّـــدَ ذا الـمُـفـضـلُ الـجَـوادُ

فقال: فأُعجب أبو دلف بقوله وقال لأحمد بن يوسف: أنت كنت أعرف بصاحبك))[1]، ومن التي تظهر الحاجة والجوع قال جعيفران : (المجتث)

يـا صـاحـبـي مـن ثـقـيـفِ يـا مُـؤنـسِـي واليـفِـي
يَـئـسْـتُ مِـنْ كُـلِّ خَـيْـرٍ عِـنْـدَ ابـن سـعـدٍ الـوصـيـفـي
فـرحـتُ لا بـطـفـيـف وَلا بِـغَـيْـرِ طفيـف
سـوى طَـعَـامٍ يَـسـيـر خَـلَـفْـتُـهُ فـي كنيـف
كـأنـنـي فـي خـروجـي خَـرَجْـتُ مِـنْ بَـيْـتِ كـوفـي[2]

وهذه الأبيات تظهر يأس الشاعر من الحياة؛ لعدم وجود الفرح بها، ويبدو أنه لم يجد فيها ولو بشيء يسير فقال: بطفيف، حتى أنك تجده لم يطلب منها فقط ما يسد جوعه فقال:) الطويل (

سَـلامٌ عَـلَـيـكُـمْ، حَـانَ وَقْـتُ مَبيتِنا وَقَـدْ أَحْـدَثَـتْ فِـي الـرَّأْسِ، كَـأْسُـكُـمُ وفرا
ومـا أنـا بـالـفَـحَـاشِ سَـاعَـةَ تَـلْـتَـقِـي ولا أنـا بـالـمؤذي، ولا قـائـل هجـرا[3]

تجد الشاعر يطلب المكان من أجل التنفيس عما في نفسه ليطلب الأمان والراحة فقال سلام عليكما وقد قابلهما بالأمان من نفسه فقال لست بالفاحش ولا المؤذي ولا بالقائل هجرا، وربما يريد الأنس ليروح ويرتاح لوجود الكأس الذي قد يكون بمعنى الكرم أو الخمر، وهذه إشارة إلى الهموم الداخلية وضعف الحالة النفسية، والفقر والجوع، حتى يلحظ بعدم وجود مكان له أو أحد يأوي إليه من أقرباء له؛ فتجد هنا وهناك ويمكن أن نتلمس هذا في قوله:)مجزوء الرمل (

بُـتُ ضَـيْـفـاً لـهُـشـامِ فـي شَـرابـي وَطَـعَـامـي
وسِـراجِـي الـكَـوكَـبُ الـدُّر يُّ فـي كُـلِّ ظَـلامِ
لا حَـرَامَـاً أَجِـدُ الـخُـبْ زَ وَلا غَـيـرَ حَـرَامِ

(١) طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (ت: ٢٩٦هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ص٣٨٣.
(٢) شعر جعيفران الموسوس، ص٣٧.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٢.

تَسْتَبِينُ الجوعَ مِنِّي في قُعُودِي وَقِيَامِي[1]

يبدو الضعف والفقر في هذه الأبيات؛ فهو يحل ضيفا حتى يأكل ويشرب فقد ظهر الجوع والعطش منه، ويبدو صعوبة مقاومة الجوع تجده يبحث عن أبسط الطعام وهو الخبز، ويبدو أن صفة الجوع ملازمة لشخصيته؛ وذلك لعدم وجود معيل له، أو مقابل لعمل ينفق منه بسبب وضعه ؛ فلا وجود لمقومات الحياة لديه سوى أنه يطرق أبواب الناس، ومن هذا قوله: (البسيط)

عَلَيْكَ إِذْنٌ، فَإِنَّا قَدْ تَغَدَّينَا لَسْنَا نَعُودُ، وَإِنْ عُدْنَا تَعَدِّينا
يا أكلَهة ذَهَبَتْ أَبْقَتْ حَرارَتُها داءً بقلبِكَ ما صُمْنَا وَصَلْينَا[2]

ولهذه الأبيات حديث ذُكر في العقد الفريد أن جعيفران استأذن على بعض الملوك، فأذن له، وحضر غداءه، فتغدى معه؛ فلما كان من الغد استأذن فحجبه، ثم أتاه في الثالثة فحجمه، فنادى بأعلى بهذه الأبيات الذي ذكرنا أعلاه()، ويبدو أن الحياة صعبة مع وجود الطبقية، فضلا عن الحالة الصعبة التي يمر بها الشاعر من مرض نفسي غياب العقل، وفي حالة الوعي قهر وموت ببطء؛ لما أصابه من ضياع للسمعة والمال والجاه والعافية.

٥. شعره:

قيل أَنَّهُ كَانَ أديباً وشاعراً مطبوعاً ، وإذا ما أفاق منْ سَكَرات المرة السوداء يَقولُ الشعر الجيد، فضلا عن أنَّ بعض الشعراءِ يَثقُونَ بِقُدْرَةِ جَعَيْفَرانَ الشَّعْرِيَّةِ ، وَيُطلبونَ إِلَيْهِ أَنْ يفك ما اسْتَعصَى عَلَيهِم ؛ إِذْ قَصَدَهُ خالد الكاتبُ، وَدِعْبل الخزاعي حِينَ أَرتج عليهما نصفُ بَيت، ليُسْعَفَهُما؛ فَما كان مِنْ جَعَيْفَرانَ إلا أن أكمل البيت.

ذكر الخطيب البغدادي قائلا: ((أخبرنا مُحَمَّد بن الحسين الجازري، قَالَ: حَدَّثَنَا المعافى بن زكريا الجريري، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عبد الواحد أَبُو عمر اللغوي، قَالَ: سمعت أحمد بن سُلَيْمَان المعبدي، قَالَ: حَدَّثَنِي خالد الكاتب، قَالَ: أرتج عَلِيّ وعلى دعبل وآخر من الشعراء نصف بيت قلناه جميعا وهو قولنا: يا بديع الحسن، فقلنا: ليس إلا جعيفران الموسوس، فجئناه، فَقَالَ: قَالَ خالد: جئناك فِي حاجة، قَالَ: لا تؤذوني فإني جائع، فبعثنا فاشترينا له خبزا ومالحا، وبطيخا ورطبا، فأكل وشبع، ثم قَالَ لنا: هاتوا حاجتكم، قلنا له قد اختلفنا فِي بيت وهو: **يا بديع الحسن**، فَقَالَ: **حاشا لك من هجر بديع**، فَقَالَ له دعبل: فزدني أنا بيتا آخر، فَقَالَ: نعم!: **وبحسن الوجه عوذتك من سوء الصنيع**، فَقَالَ له الذي معنا: ولي أنا بيتا آخر،

(١) شعر جعيفران الموسوس ، ص٥٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٢.

فَقَالَ: نعم!، **ومن النخوة يستعفيك لي ذل الخضوع**؛ فقمنا وقلنا: استودعك الله، فَقَالَ: انتظروا حتى أزودكم لي بيتا آخر: **لا يعب بعضك بعضا كن جميلا فِي الجميع))**[1].

وعبر هذه القصة قد استوقفني خوف الشاعر من أذى الناس عموما حتى أصبح لا يميز بين المجتمع، والدليل قدوم علمين من أعلام عصره، وتبدو هذه إشارة إلى أنه في حالة الوعي يطلب العزلة عن الناس، وعلى الرغم من الحالة النفسية تجد إبداعه؛ إذ جادت قريحته بجواب سؤلهما.

وأورد الخطيب قائلا: ((أخبرنا أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ إِسْمَاعِيل بن أَحْمَدَ بْنِ عبد الله النيسابوري الحيري، قَالَ: أخبرنا الحسن بن مُحَمَّدِ بْنِ حبيب الواعظ، قَالَ: أخبرنا أَبُو نصر أحمد بن مُحَمَّدِ بْنِ ملحان البصري، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو العباس الأسدي، قَالَ: أخبرنا بعض أصحابنا، قَالَ: لقيت جعيفران، فقلت له: تجيز لي بيت شعر؟ قَالَ: نعم، بدرهم صحيح، قُلْتُ له: نعم.قَالَ: هات، فأعطيته الدرهم وأنشدته:

وَمـا الـحُـبُّ إِلّا لَـوعَـةٌ قَـد رَمَـت بِهـا عُـيـونُ المَهـا بِـالـلَحظِ بَـينَ الـجَـوانِـحِ

ففكر ساعة، ثم قَالَ:

وَنَـارُ الْـهَـوَى تَـطْـغَـى عَـلَـى الْـقَـلْـبِ فِـعْـلُـهَـا كـفـعـلِ الـذي جَـادَتْ بِـهِ كـف قـادحِ))[2]

ويبدو أن الشاعر لو تهيأة له ظروف غير هذه لكان من الذين لمعوا في العصر العباسي، والدليل وجود ثوابت الإبداع عنده مع وجود الإمكانيات التي تمنحه هذه المرتبة.

(١) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١، ٢٠٠٢ م، ج٨، ص٤٤.

(٢) شعر جعيفران الموسوس، ص٢٤، وينظر: تاريخ بغداد، ج٨، ص٤٤.

المبحث الثاني

جعيفران الموسوس الوعي واللاَّوعي

إن الوعي يكون عن حالة الإدراك التي يصل إليها العقل عن طريق تواصل الفرد مع محيطه، ويكون ذلك عبر حواس الإنسان الخمس، وإن لحالة الإدراك هذه مستويات متعددة منها: الإحساس بالذات، والإدراك الذاتي، والحالة الشعورية، والحكمة أو العقلانية، والإدراك الحسي بين الفرد والبيئة، وبالتالي؛ فإنّ الوعي هو مجموعة من الأفكار، والمعرفة، وحصيلة التجارب التي شكلت لدى الفرد مفاهيمه حول كلّ ما هو حوله.

ولابد من الإشارة إلى علاقة الوعي واللاوعي ؛ إذ تجد ارتبطهما بحاجات الإنسان؛ فالوعي يظهر الشعور واليقظة؛ فينفذ فعليا أحلام اللاوعي المكبوتة، وبالتالي تكون الأهداف التي نفكر بتحقيقها أصلا مكانها في اللاوعي، فتراها تلاحقنا وتظهر أمامنا في الوعي؛ لتصبح حقيقة يمكن عيشها، ويكون هذا للإنسان العاقل بشكل عام والمبدع بشكل خاص، وأرى أن الشاعر لا تنطبق عليه هذه الخصال في اللا وعي سوى صفة تترجمها الصورة الخارجية التي تحمل الخوف من أذى المجمتع الذي يحتمل توقعه بحسب إيعاز عقله.

وفي اللاوعي يبدو أن حالة جعيفران يمكن ملاحظتها في أمرين هما:

▪ **أولا:** تجد عنده نوبات من الإنفصام على اعتبار أن هذا المرض أكثر شيوعا ويكون في السن من ١٨ إلى ٣٠ سنة باعتباره مرضاً عقليا واسع الانتشار ويصيب الرجال والنساء، ومن بين أعراضه ضعف الارتباطات مع اضطراب حاد بالعالم الواقعي والعلاقات الوجدانية، واجترار التفكير، فضلا عن الميل للانسحاب من البيئة الخارجية، مع وجود أعراض التدهور البطيء والمتدرج للشخصية في مجموعها علما إن هذا المرض استبدل بتسمية المرض المبكر[١]؛ إذ يكشف صورة كلية تشمل اضطرابات الشعور والتفكير والسلوك، مع الميل للتهرب من الواقع، وهذا ما وجدنا عند زيارة علمين من أعلام عصره وهما:

(١) الطب العقلي النفسي- علم الأمراض النفسية ، التصنيفات والأعراض المرضية، كمال دسوقي، دار النهضة بيروت، د.ت، ص١٣٦.

دعبل ورفيقه لإتمام البيت الشعري فقَالَ لهم: ((لا تؤذوني))[١].

ومما يجعلني الأخذ بشيء من جزئيات الانفصام وليس كله؛ وذلك لوجود ما يوافق شخصيته من أدلة الأعراض الحادة لها وعلى رأسها المرة السوداء melancholia؛ وقد أثبتت فيما نقل عنه [٢]؛ فهي في علم النفس حالة من الاكتئاب الشديد، ويكون الانفعال هنا سطحيا، وتجد في هذه الشخصية الهذيان والتوهم، والدليل هو لم يميز شخصية دعبل وصاحبه وهما أعلام مجتمعه، وربما تدخل الرؤيا twilight states أيضا التي تشمل المشاهدات الدينية والحالات الشبيهة بالأحلام على اعتبارها تمثل رغبات ومخاوف المريض بصورة مباشرة أو رمزية، وكأنها في مخيلته قد تحققت، وكذلك تجد في هذا المرض المظاهر الخارجية التي تشمل الذهول، وبطء العمليات العقلية، وحالات السب والهذيان اللاواعية [٣].

- **ثانيا:** تجد عنده الهستيريا التي تنماز بالقلق أو الخوف ، وبالتالي هو فاعلية الكبت والصراع اللاشعوري في أعماق النفس[٤].

وعبر هذه المفاهيم النفسية؛ فإذا عكستها على شخصية جعيفران الموسوس تجدها تتوافق معضمها في مسألة اللاوعي.

وفي اللاوعي تجد منظره وحركاته وسكناته وتصرفاته كانت تُغري الأطفال بالضحك عليه، والسخرية منه، والصياح وراءه، ورميه بالحجارة؛ ومع هذا فكل ذلك كان يثير حفيظته، ويخرجه عن طوره، قَالَ بَعضهم: ((جَاءَنَا جعيفران فِي سوق أَصْحَاب اللُّؤْلُؤ، فوهب لَهُ إنسانٌ حَبَّة من الْحبّ الصغار؛ فَقَالَ لَهُ رجل: أتبيعها بطسوج؟ ، فَقَالَ: إِن كَانَ بطسوج بادرونا فَنعم. هرب مَجْنُون من الصّبيان، وَدخل دهليزا، وأغلق الْبَاب فِي وُجُوههم وَجلسَ؛ فَخرج إِلَيْهِ صَاحب الدَّار، فَقَالَ: لم دخلت دَاري؟ . قَالَ: من أَيدي هَؤُلَاءِ أَوْلَاد الزِّنَى. فَدخل صَاحب الدَّار، وَأخرج طبقًا عَلَيْهِ رطب كثير، فَجَلَسَ الْمَجْنُون يَأْكُل، وَالصبيان يصيحون على الْبَاب؛ فَأخْرج الْمَجْنُون رَأسه إِلَى صَاحب الدَّار، فَقَالَ: بابٌ بَاطِنه فِيهِ الرَّحْمَة وَظَاهره من قبله الْعَذَاب))[٥].

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج٨، ص٤٤.

(٢) الأغاني، ج٢٠، ص١٩٩، وتاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج٨، ص٤٤، وينظر: عقلاء المجانين، أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، ص٨٤.

(٣) الطب العقلي النفسي ، كمال دسوقي، ص١٣٦.

(٤) ينظر المصدر نفسه، ص٢٤٥، ٢٤٦.

(٥) نثر الدر في المحاضرات، منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى (المتوفى: ٤٢١هـ)،تحقيق: خالد عبد الغني محفوط، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ج٣،ص١٧٨.

أما في وعيه؛ فيمكن أن تكون الأحداث والخبرات أكسبته الإبداع؛ وذلك على اعتبارها مخزنة في خزائن الذاكره، ولهذا تجد أن مفهوم الوعي يفصح عن الذات؛ فتجد الأفكار والمشاعر، والتطلعات، والأهداف، والمخاوف أيضا، وذكر القرطاجني أن حقيقة البواعث النفسية لعملية الإبداع الشعري هي أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات للنفوس؛ لكون تلك الأمور مما يناسبها ويبسطها أو ينافرها ويقبضها أو لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين؛ فالأمر قد (يبسط) النفس ويؤنسها بالمسرة والرجاء ويقبضها بالكآبة والخوف، وقد يبسطها أيضاً بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع، وقد يقبضها ويوحشها بصيرورة الأمر من مبدأ سار إلى مآل غير سار[١].

وَفي الوعي على سبيل المثال كانَ جُعَيْفَرانُ يَعزو تلك الحالة التي وصل إليها إلى إِفْلاسِهِ بَعْدَ حِرْمَانِهِ مِنْ الإرث؛ ولهذ تجده يَقُولُ:

رَأَيْتُ النَّاسَ يَدْعُونِي ... بِمَجْنُونٍ عَلَى حالي
وما بي، اليَوْمَ مِنْ جن ... وَلا وَسْواسِ بَلْبالِ
وَلَكِنْ قَوْلُهُمْ هذا ... لإفلاسي وإقلالي[٢]

وَنَسْتَنتِجُ مِنْ أَخْبَارِهِ عَلَى شُحْها ، أَنَّ حَالَتَهُ هَذِهِ جَعَلَتْ مِنْهُ شخصاً ضَيِّقَ الصَّدْرِ، حاد المزاج، وَلَهُ لِسانٌ يُتَّقى؛ فالمعاناة النفسية تبدو وصلت إلى حالة من الإحباط بسب الحرمان، مما يملأ الأجواء المحيطة به؛ فتجد بهذه الذات رائحة اليأس، وقد تكون هناك تداعيات تتولد من الوعي واللاوعي ومكنوناتها الحالة النفسية منها:

١. **العتاب الاجتماعي:** ويمكن القول في هذا الموضع أن الشاعر يعاتب مجتمعه؛ لأنه بحاجة إلى مساندتهم له، ويعود إلى سببين:

- الأول: حاجته إلى نظرة عطف على اعتباره مريضًا نفسًيا.
- الثاني: الفقر الذي أصابه؛ فهو في حالتي الوعي واللاوعي بحاجة إلى المادة؛ لأن المريض بشكل عام يحتاج إلى عناية أكثر من الإنسان السليم ومستلزمات أهمها الغذاء والدواء، وكذلك النظافة، وإذا انعدمت هذه الثوابت من المؤكد هلاك صاحب العلاقة قبل أوانه كما يعتقد أهل الطب وعلم النفس، ومن الأبيات التي تجد فيها هذه المعاني التي تشير إلى عتابه الاجتماعي قوله: (الكامل).

(١) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن (المتوفى: ٦٨٤هـ)، د.ت، د.ط، ص١.

(٢) شعر جعيفران الموسوس، ص١٠.

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقَيْتُ فِي خَلَفٍ بِلا أكناف[١]

يبدو هنا انقطاع أهل الخير عنه، وربما لارتحالهم عنه قد سبب في تفاقم الحالة المادية أو النفسية أو كلتيهما، ولهذا يقول : ذهب الذين يعاش في أكنافهم، وهذه إشارة إلى كرمهم وإحسانهم له واهتمامهم به، ولم يبق عنده من يأويه في مجتمعه ، وقوله أيضا : (الوافر)

أَتَهْجُرُ مَنْ تُحِبُّ بِغَيْرِ جُرْمٍ أَسَأْتَ إِذَنْ، وَأَنْتَ لَهُ ظَلُومُ
تُؤَرِّقُنِي الْهُمُومُ، وَأَنْتَ خُلُوٌّ لَعَمْرُكَ مَا تُؤَرِّقُكَ الهُمُومُ[٢]

تجد الحزن واضحا، وفي هذه الأبيات؛ فهو عتاب لمن يوده الشاعر مع وجود ألمه، فتجد أنه يشكو من هجره وجفا عنه وهو بحاجة إليه، فضلا مكانة المرسل إليه التي يمتلكها في نفس الشاعر، وقوله:

ليت شعري أَيُّ قَوْمٍ أَجْدَبوا فأغيثوا بك مِنْ طُولِ العَجَف[٣]

هذه الأبيات تكشف الواقع الذي يعيشه الشاعر وقد وصل إلى مرحلة القحط ؛ ولهذا تجده يطلب الغيث والمعانى مجازي؛ إذ يقصد الممدوح لوجود الجوع. حتى وصل الحال به فيقول لمن طرق بابه سائلا:

أكُلَّ طُولِ الزَّمَانِ أَنْتَ إِذا جئتك في حاجَةٍ تَقولُ غدا
لا جَعَلَ اللهُ لِي إِلَيْكَ، وَلا عندك ما عِشتُ، حاجَةً أبدا[٤]

العتاب الذاتي وضيق الحال: وأعني هنا الإنعدام الوجودي للشاعر، وعدم وجود قيمة له؛ فخسارة الثروة قد أذلته وفي هذا تجده يقول:

وَيَدْعُونَنِي عَزِيْزًا غَيْرَ أَنَّ الوِلْدَانَ إِفْلَاسِيهْ؛
لا، والذي أَنْزَلَ نِعْمَةً عَلَى وهو المفضلُ الْمُنْعِمُ
ما لي دينار، ولا درهم أَشْرَبُ مِنْهُ لا وَلا أَطْعَمُ
وَلا يُساوي درهماً واحداً مَنْ لَيْسَ فِي مَنْزِله درهم[٦]

معاني حزن الشاعر قد ترجمتها هذه الأبيات فأين كان وكيف أصبح؟، وتبدو النفسية مزرية والتوجع حاضر، ولعل صدمة الإرث قد أخذت مكانة كبيرة من نفسه عن قناعة عدم الرضا بالواقع، بحيث تجد

(١) شعر جعيفران الموسوس، ص٧٥.
(٢) المصدر نفسه، ص٨١.
(٣) المصدر نفسه ، ص٧٣.
(٤) المصدر نفسه، ص٦٨.
(٥) شعر جعيفران الموسوس ، ص٧٢.
(٦) المصدر نفسه، ص٨٠.

تكرارا كثيرا لصورتيه التي فيهما فالأولى: حياة منعمة، وأخرى قد مزقها الفقر.

٣. غربة الشاعر في المجتمع : وهنا تجد الشاعر يشعر بالبؤس وعدم الرضا في المجتمع؛ إذ لا يستطيع أن ينمي بحريته طاقته الفيزيقية أو العقلية، ولهذا يحس بالغربة في حالة الوعي قال الشاعر:

رأيتُ الناسَ يرومونني أحياناً بوسواس
ومن يضبطُ يَا صاحِ مقالَ الناسِ في الناسِ
.....
فإن الناس يفرون بأمثالي وأجناسي[1]

يبدو ألَّا يوجد في مجتمعه أمنه أو ذاته إلا في وقت الفراغ بالابتعاد عنهم، ولهذا تجده يعيش غربة الذات، وهي إدراك الفرد بأنه أصبح مغترباً حتى عن ذاته، وقد تقترب هذه الحالة من بعض المعاني التي تنطوي عليها، مثل اللامنتمي أو الهامشي أو اللامعياري وكل هذه المعاني تجدها في قوله:

١. طاف به طَيْفٌ مِنَ الوَسْواسِ
٢. نَفْرَ عَنْهُ لذَّةَ التُّعاس
٣. فَما يُرى يَأْنَسُ بالأناس
٤. وَلا يَدُ عِشْرَةَ الجُلاسِ
٥. فَهوَ غَرِيبٌ بَيْنَ هذا النّاسِ

وهذه الأبيات صريحة وواضحة ومترجمة لأحوال الشاعر بين مجمعة فهو غريب عنهم ، وقوله : (مجزوء الرمل)

وندامى أكَلُونِي إذْ تَغَيَّبْتُ قَلِيْلَا
زَعَمُوا أَنْيَ مَجْنُو نٌ أَرَى العُرِيَ جَمِيْلَا
كَيْفَ لَا أَغْرَى، وَمَا أَبْ صرُ في النَّاسِ مَثِيْلَا
باسطاً لِلْجُودِ كَفَاً قائلاً خَيْراً فَعُوْلا
إنني أَهْوَى كِرَامَ النـ ـاسِ، لا أَهْوَى البَخِيْلَا
إنْ يَكُن قَدْ سَاءَ كُمْ قُرْ بي، فَخَلُّوا لي سَبِيْلا
وابْتَغُوا غَيْري نَدِيماً لكُمْ مِنّي بَدِيْلَا

(١) المصدر نفسه، ص١٠.

ثُـمَ جِـيْـئُـوا بِغِنَـــــــاءٍ يَـتْـرُكُ الـمَـوْلـــــــى ذَلِـيْـلَا
وَأَتِـمُـوا يَـوْمَـكُـمْ سَـــــــــرْ كُـــمُ اللَّهُ طَـوِيْـــــــــلَا[1]

وهنا يذكر الشاعر الندم لمجاسته المجتمع الذي كان فيهم وجيها؛ إذ تركوه لفقره وظهور الجنون وعاهاته من المشي عريانا، وهي صورة موجعة و أليمة؛ فالحالة النفسية نحو الهاوية لأن مقومات الحياة شبه معدومة بالنسبة إليه فهو ربما يطلب الجلوس عندهم ويبدو قد ظهر منهم مانع فامتنع الشعر.

(١) شعر جعيفران الموسوس، ص٧٦، ٧٧.

الخاتمة

بهدي من الدراسة النفسية في شعر جعيفران الموسوس يمكننا أن نضع أهم النتائج التي أسفرت عنها:

١. إن المنهج النفسي بدلالة العمل الأدبي فإنه يقوم بتسليط الضوء على نفسية المبدع، وإجابة حاسمته، والنقد النفسي للأدب عامة كان نفسياً منذ بدايته بمعنى أن كل ناقد قد حاول بوضوح أن يستغل في نقده ما يعرفه، أو يؤمن به من عمليات الفكر الإنساني.

٢. ويبدو أن جعيفران في ألفاظ الجنون هو الممرور وهو الّذي أحرقته المرَّة السوداء .

٣. اشتهرت قصة جعيفران في بغداد، وقد فقد ثروته وسمعته وعقله بسبب خلافه مع والده بسبب إحدى الجواري، وقد حكم من قبل القاضي إبي يوسف بالحرمان ؛ وبعدها كان يغيب عقله أحيانا ويختلط؛ فحمل من يومها لقب الموسوس.

٤. كَانَ أديباً وشاعراً مطبوعاً ، وإذا ما أفاق منْ سَكَرات المرة السوداء يَقولُ الشعر الجيد، فضلا عن أنَّ بعض الشعراءِ يَثقُّونَ بِقُدْرَةِ جَعَيْفَرانَ الشَّعْرِيَّةِ ، وَيُطلبونَ إِلَيْهِ أَنْ يفك ما اسْتَعصَى عَلَيهِم.

٥. إنّ الوعي يرتبط بشكل أساسي بالإدراك الحسي؛ فالوعي بالنسبة له يمثل ردود الفعل التي يكونها الأفراد اتجاه البيئة، عبره يستطيع الذات التعبير عن إدراك الفرد لذاته ؛ وذلك عبر تكوين صورته عن ذاته وأفكاره وعلاقاته بالعالم الخارجي من حوله؛ إذ يكون الإنسان بهذا الوعي عبر التجربة، والإدراك الحسي.

٦. وفي اللاوعي يبدو أن حالة جعيفران يمكن ملاحظتها عبر نوبات من الإنفصام على اعتبار أن هذا المرض أكثر شيوعا فتجد هذه الشخصية تشمل اضطرابات الشعور والتفكير والسلوك، مع الميل للتهرب من الواقع، وهذا ما وجدنا عند زيارة علمين من ألاعم عصره وهما: دعبل ورفيقه لإتمام البيت الشعري فقَالَ لهم: ((لا تؤذوني))، وكذلك تجد عنده الهستيريا التي تنماز بالقلق أو الخوف ، وبالتالي هو فاعلية الكبت والصراع اللاشعوري في أعماق النفس.

٧. حَالَتَهُ هَذِهِ جَعَلَتْ مِنْهُ شخصاً ضَيِّقَ الصَّدْرِ، حاد المزاج، وَلَهُ لِسانٌ يُتَّقى؛ فالمعاناة النفسية تبدو وصلت إلى حالة من الإحباط بسب الحرمان، مما يملأ الأجواء المحيطة به؛ فتجد بهذه الذات رائحة اليأس، وقد تكون هناك تداعيات تتولد من الوعي واللاوعي ومكنوناتها الحالة النفسية منها: (العتاب الاجتماعي ، والذاتي، والغربة).

وأخيرا .. أقول إن هذه الدراسة جاءت لتكشف عن أهم الجوانب النفسية المتعلقة بالشاعر العباسي جعيفران عبر النصوص الشعرية، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١. الأصمعيات اختيار الأصمعي، الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (المتوفى: ٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط٧، ١٩٩٣م، ص١١٢.

٢. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ج٥، ص ٢٦.

٣. الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني (ت٣٥٦ه)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢م.

٤. الأمثال المولدة، محمد بن العباس الخوارزمي، أبو بكر (المتوفى: ٣٨٣هـ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي،١٤٢٤ هـ، ص٤١٩.

٥. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١، ٢٠٠٢ م، ج٨، ص٤٤.

٦. الحاوي في الطب ، أبو بَكْر الرَّازِي (٢٥١ـ ٣١٣ هـ)، محمد بن زكريا الرَّازي، أبو بكر: فيلسوف، من الأئمة في صناعة الطب. من أهل الري،ولد وتعلم بها. وسافر إلى بغداد بعد سنّ الثلاثين. يسميه كتّاب اللاتينية (رازيس)، تحقيق: عبد اللطيف العبد، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية؛ ١٩٧٨ م ، ص١٠١.

٧. سيلين سوربينانت، «فرويد والتحليل النفسي» في باتريشيا وو إد.، النظرية الأدبية والنقد (OUP ٢٠٠٦) ص. ٢٠٠

٨. شعر جعيفران الموسوس (ت_٢٤٨ه)، أبو الفضل جعفر بن علي بن أصفر بن السري بن عبد الرحمن الشهير بـ(جُعَيفُران المُوسوَس)، تحقيق: شاكر العاشور، ط٢، دار تموز، دمشق، ٢٠١٢،ص٤٣.

٩. الطب العقلي النفسي- علم الأمراض النفسية ، التصنيفات والأعراض المرضية، كمال دسوقي، دار النهضة بيروت، د.ت، ص١٣٦.

١٠. طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (ت: ٢٩٦هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ص٣٨٣.

١١. العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ، ج٧، ص ١٨٤.

١٢. عقلاء المجانين، أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (المتوفى: ٤٠٦هـ)، تحقيق: خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص٨٤.

١٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١ م، ج١، ص١٢٢

١٤. اللطائف في اللغة ـ معجم أسماء الأشياء ـ، أحمد بن مصطفى اللَّبَابِيدي الدمشقي (المتوفى: ١٣١٨هـ)، دار الفضيلة، القاهرة، ص١٢٧.

١٥. مدخل في علم النفس، لندا دافيدوف، ترجمة: السيد الطواب، ومحود عمر، ونجيب خزام، مراجعة فؤاد أبو حطب، مكتبة التحرير، ط٣، ١٩٨٣م، ص٤٣١.

١٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩.

١٧. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن (المتوفى: ٦٨٤هـ)،

١٨. نثر الدر في المحاضرات، منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى (المتوفى: ٤٢١هـ)،تحقيق: خالد عبد الغني محفوط، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ج٣،ص١٧٨.

٩١. النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي ادغار هايمن (Stanley Edgar Hyman) ((ت: ١٣٩٠هـ) ترجمة: إحسان عباس،ط١، دار الثقافة - بيروت - لبنان، ج١، ١٩٥٨ م، ص ٢٥٨.

٢٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت.

Sources and references

1. Al-Asma'iyyat, the choice of Al-Asma'i, Al-Asma'i Abu Saeed Abd al-Malik bin Qarib bin Ali bin Asma' (deceased: 216 AH), edited by: Ahmed Muhammad Shaker - Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Maaref, Egypt, 7th edition, 1993 AD, p. 112.

2. Al-Alam, Khair al-Din bin Mahmoud bin Muhammad bin Ali bin Faris, Al-Zarkali Al-Dimashqi (d. 1396 AH), Dar Al-Ilm Lil-Malaya'in, 15th edition, 2002 AD, vol. 5, p. 26.

3. Al-Aghani, by Abu Faraj Al-Isfahani (d. 356 AH), edited by: Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut, 2002 AD.

4. Generated Proverbs, Muhammad bin Abbas Al-Khawarizmi, Abu Bakr (deceased: 383 AH), Cultural Complex, Abu Dhabi, 1424 AH, p. 419.

5. History of Baghdad, Abu Bakr Ahmed bin Ali bin Thabit bin Ahmed bin Mahdi Al-Khatib Al-Baghdadi (died: 463 AH), edited by Bashar Awad Ma'rouf, Dar Al-Gharb Al-Islami - Beirut, 1st edition, 2002 AD, vol. 8, p. 44.

6. Al-Hawi in Medicine, Abu Bakr Al-Razi (251_313 AH), Muhammad bin Zakaria Al-Razi, Abu Bakr: philosopher, one of the imams in the medical industry. From the people of Rayy, he was born and educated there. He traveled to Baghdad after the age of thirty. Latin writers call it (Razis), edited by: Abdul Latif Al-Abd, Cairo, Egypt, Egyptian Nahda Library. 1978 AD, p. 101.

7. Céline Sorbinant, "Freud and Psychoanalysis" in Patricia Wu ed., Literary Theory and Criticism (OUP 2006) p. 200

8. Poetry of Jaifran Al-Musous (d. 248 AH), Abu Al-Fadl Jaafar bin Ali bin Asfar bin Al-Sari bin Abdul Rahman, known as (Jaifran Al-Musous), edited by: Shaker Al-Ashour, 2nd edition, Dar Tammuz, Damascus, 2012, p. 43.

9. Psychological Medicine - Psychopathology, Classifications and Symptoms, Kamal Desouki, Dar Al-Nahda, Beirut, ed., p. 136.

10. Classes of Poets, Abdullah bin Muhammad bin Al-Mu'tazz Al-Abbasi (d. 296 AH), edited by: Abdul Sattar Ahmed Farraj, Dar Al-Ma'arif, Cairo, 3rd edition, p. 383.

11. Al-Aqd Al-Farid, Abu Omar, Shihab Al-Din Ahmad bin Muhammad bin Abd Rabbo Ibn Habib Ibn Hudayr bin Salem, known as Ibn Abd Rabbuh Al-Andalusi (deceased: 328 AH), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1st edition, 1404 AH, vol. 7, p. 184.

12. The Wise Men of the Crazy, Abu al-Qasim al-Hasan bin Muhammad bin Habib al-Naysaburi (deceased: 406 AH), edited by: The Servant of the Purified Sunnah Abu Hajar Muhammad al-Saeed bin Bassiouni Zaghloul, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1405 AH - 1985 AD, p. 84.

13. Al-Umdah fi The Beauties of Poetry and its Manners, Abu Ali Al-Hasan bin Rashiq Al-Qayrawani Al-Azdi (died: 463 AH), edited by: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid, Dar Al-Jeel, 5th edition, 1981 AD, vol. 1, p. 122.

14. Al-Latif fi al-Lughah _ Dictionary of Names of Things_, Ahmed bin Mustafa al-Labbabidi al-Dimashqi (deceased: 1318 AH), Dar al-Fadila, Cairo, p. 127.

15. Introduction to Psychology, Linda Davidoff, translated by: Al-Sayyid Al-Tawab, Mahmoud Omar, and Najib Khuzam, reviewed by Fouad Abu Hatab, Tahrir Library, 3rd edition, 1983 AD, p. 431.

16. Dictionary of Language Standards, Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, Abu Al-Hussein (deceased: 395 AH), edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr, 1979.

17. Minhaj al-Balagha and Siraj al-Adabā', Hazem bin Muhammad bin Hassan, Ibn Hazem al-Qartajani, Abu al-Hasan (deceased: 684 AH),

18. Al-Durr's prose in the lectures, Mansour bin Al-Hussein Al-Razi, Abu Saad Al-Abi (deceased: 421 AH), edited by: Khaled Abdel-Ghani Mahfut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, Lebanon, 1st edition, 1424 AH - 2004 AD, vol. 3, p. 178.

19. Literary criticism and its modern schools, Stanley Edgar Hyman (d. 1390 AH) Translated by: Ihsan Abbas, 1st edition, House of Culture - Beirut - Lebanon, vol. 1, 1958 AD, p. 258.

20. Deaths of Notables and News of the Sons of the Time, Abu Abbas Shams al-Din Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim bin Abi Bakr Ibn Khalkan al-Barmaki al-Irbali (deceased: 681 AH), edited by: Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut.